المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 19A1 كانون الاول 2025
No.19A Dec. 2025

الإمام الحسين(ع) في رحاب القصيدة الاندلسية (صفوان ابن ادريس الاندلسي) انموذجا (560-598 هـ) رؤية وصفية تحليلية

أ.م.د. حاكم جاسم عبدالله
جامعة واسط /كلية الآداب /قسم اللغة العربية
hakimgassim@gmail.com

الملخص

لقد وجد الشعراء على اختلاف عصورهم ومذاهبهم في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) ما يثير شاعريتهم، ويحرّك عواطفهم، ويملك عليهم وجدانهم؛ وكيف لا وهو الذي سنّ للناس سبيل الشهادة، والتضحية من أجل الحق، وعدم الركوع للظالمين، انطلق بعض شعراء الاندلس في هذا الميدان الواسع وهم يتقصون أخلاق الامام الحسين (عليه السلام) الحميدة، ويتعقبون شمائله العالية، ويشيدون بمواقفه النبيلة، وكان من بين هؤلاء الشعراء صفوان بن ادريس الاندلسي. إن صفوان في شعره عن الولاء لأهل البيت عليهم السلام والتبري من أعدائهم بشكل واضح ومؤثر، إذ يعتبر الامام الحسين (عليه السلام) في تصوره مصدرا للعلم والمعرفة والقدوة الحسنة والمحبة العميقة والولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، ويمتد هذا الولاء إلى الإمام علي (عليه السلام). لقد وظف صفوان في بعض قصائده كل ما هو قادر على التعبير عن رثائه للإمام الحسين (عليه السلام)، واستطاع من خلال هذا التوظيف أن يصف أجزاء تلك المأساة وتأثيرها في النفوس ويصف حال آل البيت، وما جرى لهم في كربلاء.

الكلمات المفتاحية: صفوان _ الشعر الاندلسي _ الامام الحسين (ع) _ الولاء _ البراءة

Imam Hussein in the Realm of Andalusian Poetry (Safwan Ibn Idris al-Andalusi as a Model) (598-560AH): A Descriptive and Analytical Perspective

Assistant Professor Dr. Hakim Jassim Abdullah
University of Wasit / College of Arts / Department of Arabic Language
hakimgassim@gmail.com

Poets throughout history and across different schools of thought have found in the character of Imam Hussein (peace be upon him) inspiration that stirs their poetic sensibilities, moves their emotions, and captivates their hearts. How could it be otherwise, given that he established for humanity the path of martyrdom, sacrifice for the sake of truth, and refusal to submit to oppressors? Some Andalusian poets ventured into this vast field, exploring the noble character of Imam Hussein (peace be upon him), tracing his lofty virtues, and praising his noble stances. Among these poets was Safwan ibn Idris al-Andalusi. Safwan's poetry clearly and powerfully expresses loyalty to the Ahlul-Bayt (peace be upon them) and disavowal of their enemies. He views Imam Hussein (peace be upon him) as a source of knowledge, wisdom, and a perfect example, embodying profound love and loyalty to the Ahlul-Bayt (peace be upon them). This loyalty extends to Imam Ali (peace be upon him). In some of his poems, Safwan employed everything that could express his lament for Imam Hussein (peace be upon him), and through this employment he was able to describe parts of that tragedy and its effect on souls, and to describe the state of the family of the Prophet, and what happened to them in Karbala.

Keywords: Safwan, Andalusian poetry, Imam Hussein, loyalty, disavowal

المقدمة

في الشعر الأندلسي، كان الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) والبراءة من أعدائهم دور هام في إبراز القيم الدينية والأخلاقية وتأكيد الولاء والمحبة لهم كقادة ومرجعية للمجتمع، كما ساهمت هذه القصائد في تعزيز الوعي الشعبي بالأهل البيت عليهم السلام ومكانتهم العظيمة في التاريخ الإسلامي.

يكون الرثاء الحسيني محدودًا لدى بعض الجماعات الشيعية المحدودة في الأندلس وعلى الرغم من هذا فإن لهم تقاليد ثقافية شعرية وأدبية غنية، وقد تضمنت بعض الأشعار والمأثر التي تأبى الحسين وأهل بيته.

ألهمت ثورة الإمام الحسين(ع) وواقعة كربلاء الكثير من الفلاسفة والمفكرين والأدباء الغربيين والعرب عبر العصور فكتبوا عنها وعن تضحيات الإمام الحسين (ع) وتجلّى ذلك في أعمالهم الفلسفية التي تناولت مواضيع تتعلق بالإمام الحسين(ع) وثورته من منظور فلسفي وديني.

في الأدب الأندلسي كان للإمام الحسين عليه السلام مكانة خاصة ومحورية، حيث ظهر حبه وتأثيره في أشعار العديد من الشعراء الأندلسيين، لقد ارتبط اسم الإمام الحسين بثورة الحق والعدالة، وأصبح رمزًا للمظلومية والبطولة في مواجهة الظلم،وصفوان الاندلسي من أبرز الشعراء الشيعة في القرن السادس الهجري في الأندلس ويعرف بمتعري الامام الحسين (عليه السلام) وكان كاتبا بليغاً و شاعراً بارعاً ومن أعيان أهل المغرب (السماوي، ٢٠٠١:٣٠٥)، ولد في مرسية وتوفى سنة(598هـ) اشاد صفوان بن إدريس المرسي بآل البيت عليهم السلام في آبيات مختلفة (الأمين١٩٨٣: ٣٨٩) على سبيل المثال ذكر في إحدى قصائده في واقعة كربلاء:

وَهُم قَطَعوا رَأسَ الحُسَين بِكَربَلا كأنهم قَد أحسَنوا حِين أُجرِموا

فَخُذ مِنهُمُ ثأري وسَكن جَوانِـــحاً وأجفَانَ عينٍ تَستَطيرُ وَتَسجُمُ

أبِي وانتصِر لِلسّبطِ واذكُر مُصابَهُ وغُلَّتَهُ والنَّهرُ رَيَّانُ مُفعَـــمُ

وَأسْرَ بَنيهِ بَعدَهُ وَاحتِمـــــــالَهُم كَأنهُمُ مِن نسلِ كِسرَى تغنَّمُ (الريشهري ٢٠١٠: ٤٧)

الولاء لآل البيت في شعر صفوان

ظهرت شخصيات العصر الإسلامي بوضوح في قصائد صفوان بن ادريس ، وكان من أبرز تلك الشخصيات النبي محمد ﷺ .ففي أحد الأبيات، يستدعي الشاعر اسمًا من أسماء النبي عند طرح السؤال : أعندك شيء ترتجي أن تناله؟ فيجيب قائلاً :صفوان عندي شفاعة النبي ﷺ، تلك المنزلة العظيمة التي خصّ الله بها النبي وحده دون غيره من الأنبياء والمرسلين، مما جعله مميزًا ومفضلًا عليهم جميعًا .حين قال في ذلك:.

يقولون لي لَمَّا رَكِبتُ بِطَالَتِي رُكُوبَ فَتى جَمَ الغَوَايَةِ مُعتَدِي

أعندك شيء ترتجي أن تناله فقُلتُ نعم عِندِي شَفاعَةُ أحمد (الديوان ، ٢٠١٨: ١٠٧)

تتناول الأبيات التزام الشاعر العميق بالولاء والانتماء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأكيده على دور شفاعته في تحقيق أمنياته. يرى الشاعر أن قبول الأعمال مرتبط بموالات النبي وآل بيته الأطهار .من خلال نسج كلماته، يتوسل الشاعر ببكائه إلى سبط النبي الإمام الحسين (عليه السلام)، مستعينًا بمحبته وشفاعته لطلب عفو الله ومغفرته.

تجسد هذه الأبيات جانبًا روحيًا عميقًا يعكس حب الشاعر لآل البيت (عليهم السلام (وتعلقه بمن يقربه إلى الله تعالى .يستعرض الشاعر أملاً كبيرًا في شفاعة النبي الكريم، معتبرًا هذا التوسل وسيلة للتقرب إلى

الله وطلب المغفرة متجاوزًا بذلك النزعات الدنيوية والمظاهر الزائفة .أما صفوان بن إدريس، فهو نموذج حي للتوسل الصادق، إذ يتوجه ببكائه للإمام الحسين (عليه السلام) طالبًا رحمة الله وشفاعته، معبرًا بذلك عن أمله العميق في الفوز بشفاعة سيدنا محمد (ﷺ).إذ قال في ذلك:

أمولاي الحـسين نـداء عبد عظيم الحزن فيك والانتحاب

منحتك من بنات الفـــكر بكرا إطار شرارها زيد اكتئابي

عسى الرحمن يقبلها فتصحي شفاعة أحمد عنها ثوابي (الديوان ، ٢٠١٨: ٣٤)

الشاعر يعبر من خلال قصيدته التي تفيض ولاءً للإمام الحسين (ع) عن ألم داخلي عميق يكاد ينزف منه قلبه .يبرز رجاءه الصادق بأن يكون هذا الولاء لأهل البيت شفيعًا له أمام ربه، ساعيًا لنيل عفوه ومغفرته، وأملًا في الفوز بشفاعة الإمام الحسين يوم القيامة .يظهر الانكسار النفسي والتضرع والأماني النابعة من أعماق القلب في كل تعبير من تعابير الشاعر..

تجدر الإشارة إلى أن صفوان اعتمد على تاريخ الإسلام لتسليط الضوء على شخصياته البارزة، حيث ساهمت هذه الشخصيات في تعزيز مواقفه وأفكاره، وإبراز العمق التاريخي الذي يتميز به كأديب، استند صفوان إلى أحد المبادئ الأساسية التي أسسها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة الأولى من الهجرة إلى المدينة المنورة، وهو مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد عبّر عن هذا المبدأ بوضوح في نصه دون الاكتفاء بالإشارة إليه، معتمداً عليه لاستحضار العديد من الشخصيات الإسلامية، فقد أدرج شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشخصية الإمام علي (ع) وأصحابه ضمن عناصر نصه النثري في نصه النثري من فحوى رسالته الارتحال والتعريس، الذي جاء محمّلاً برسالة تحمل دلالات الرحيل والتوقف للتأمل.

إذ قال: وصلى الله على نبيه وسيدنا محمد إمام الهدى، وغمام الندى، وحمام السعداء ، وتمام المدى الدال على قصده إلى الائتلاف وتوخيه بقوله: المرء كثير بأخيه، وقد بين فائدة النواحي غاية بيان فقال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان" إلى غير ذلك ما نظم به بدد الإيناس، كقوله (رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس ولها تؤدي اليه الازرة من الانتصار، أخي (عليه السلام) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: هذا أخي يعني علياء فأحله بذلك مكانا عليا، وحمزة أسد الله في الحرب العوان، مع زيد بن حارثة اخوان وإياه أوصى بحمزة إذا حضر القتال، وخاف أن يغتاله يوم أحد مغتال)، (شريفة، 1999: ١٧١ -١٧٢)، واستخدم الشاعر مبدأ المؤاخاة بنجاح في الإسلام، حيث دعا إلى الاخوة والتعاضد والتكاتف بين المؤمنين، مما ساهم في تعزيز الروابط الإنسانية والمحبة في المجتمع المسلم، وهذا ما دلت صحيح، نصوصه إذ استطاع صفوان أن يبرع في توظيف المفاهيم الدينية والتعبير عنها بشكل متقن لم يقتصر دوره على مجرد حشد الشخصيات في النص، بل استخدمهم كوسيلة لتعزيز رؤيته الإيمانية وتأكيد تعلقه القوي بالدين الإسلامي الحنيف. وكما يعتقد الأديب بقوة في الإيمان بالله واتباع تعاليمه الموجودة في الإسلام. فإنه طبيعي أن يتجلى هذا الإيمان في كتاباته وأن تتضمن روحانية عميقة وإخلاصا تجاه الدين.

ومن بين أشهر شخصيات الصحابة في التاريخ الإسلامي التي استدعاها صفوان في شعره. شخصية أبو ذر الغفاري، المعروف بدفاعه عن الفقراء، وكذلك موقفه الفذ من الرسول وأهل بيته الكرام (ص)، وتسليط الضوء على منزلته البارزة بين رفقاء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قال فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، (الذهبي،1405 هـ:٢٣) وصفوان باستحضاره شخصية أبي ذر، يستمد منها صورة من صور الواقع، الذي يعيشه من الغربة والحنين إلى الديار، وهذا ما عاناه أبي ذر بعد نفيه من قبل معاوية بن أبي سفيان، ورفضه لحكمه فأخذ يجوب البلاد، إذ قال في ذلك :

أخلاي بالخضراء دوموا بنعمة فو العصر إني من نأيتم لفي خسـر

إذا تسمت ريح الجزيرة هيجث دماء نفـــيس لا تريش ولا تبـــري
ثق الله فيها يا نســـــيم فإنـــها إذا فقدت ضاع الصبا والهوى العذري
يقر لعيني بأنه الصـــدر أنني أحـــن على غفر إلى بانة الصـــــدر
أغازل برق الغرب حبا لعهدكم فمهما بدا برق أقل : كن أبا ذر (الديوان ، ٢٠١٨: ٩١)

يركز الشاعر على شخصية أبي ذر الغفاري، مسلطًا الضوء على أهمية العدالة الاجتماعية في الإسلام ودور الصحابة في تعزيزها .يعتبر الشاعر أبا ذر نموذجًا للتضحية والرحمة والتكاتف مع الفقراء والمحتاجين داخل المجتمع الإسلامي. هذا الطرح يبرز البعد العلمي والتاريخي لدور أبي ذر في تحقيق العدالة، كما يظهر جليًا في الشعر التجيبي الذي يعتمد بشكل أساسي على استحضار شخصيات بارزة مثل أبي ذر، ممن قدموا تضحيات عظيمة في سبيل أهل البيت وقضاياهم.

ومن الشخصيات التاريخية المهمة التي تركت وقعا في نفس صفوان بن إدريس شخصية التابعي الجليل سعيد بن جبير (رضوان الله عليه)، وقد جاءت في شعره ونثره، وقد وظف صفوان تلك الحادثة في مواضع من الشعر والنثر في أدبه، إذ جاء ذكرها في الشعر فقال:

أَينَ أَيَّامُنَا النَّوَاتِي تَقَـــضَت إذ زجرنا للأنس أيمن طـــير
وإتلاف عـــهدته من كـــرامٍ سارَ صرف النوى به أي سير
شعب الدهر شملهم بعد جمعٍ ربَّ لـــفع أَزَالَهُ حُكمُ ضَـــيْرٍ
حكم البين في مناهم فقضوا لاحتـــكام الفراق طرف تمير
فتك الحب ســـــلوى عنـــهم مثل فتك الحَجاج بِابْنِ جُبَيرٍ(الديوان، ٢٠١٨: ٢٨)

يشعر صفوان بالغربة التي تجتاحه، مما يحفزه لاستعادة ذكريات الوطن والحنين إليه .يستدعي في ذاكرته الأيام الماضية، ويربط بين حادثة فتك الحجاج بسعيد بن جبير وبين وقع الحب عليه، نتيجة فراق أحبته عنه كان يجد في وجودهم تسليةً ومواساةً تخفف عنه الحزن والهموم، لكن هذا الفراق خلفه أسيراً لحبهم ومعاناته.

ومن مبدأ الولاء في القرآن إضافة الشاعر الآيات القرآنية لتزيين نصوصه النثرية، بهدف تعزيز المعنى وتعميق الدلالة لنصه المكتوب، ومن بين الأمثلة على ذلك هو ما ذكر في رسالته الديوانية التي أرسلت من قبل عبد الرحمن بن يوسف الموحدي (ينظر : الهواري، ٢٠٠٦: ١٨١) إلى ملك قشتالة أذفونش، يقول فيها تحمد الله الذي حق الجنة بالمكاره والنار بالشهوات، وأمرنا بالتزام طاعة أولى الأمر فيما أنزل من آياته البينات، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله من جميع الحدود والجهات (شريفة، ١٩٩٩ : ٢٠١)، من خلال ما ذكر قام الشاعر بإدراج نص من القرآن الكريم في خطابه قال تعالى: (أطيعوا الله وأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ) (النساء : ٥٩)، مشيرًا مسبقا إلى طابعه القرآني، بهدف خدمة الموضوع الذي يتحدث عنه .

يتناول مبدأ الولاء في القرآن الكريم أهمية الالتزام بأوامر الله تعالى وترك النواهي، داعياً إلى طاعة الله ورسوله يظهر هذا المبدأ جلياً من خلال النص القرآني الذي يعزز الثقافة القرآنية التي تبناها صفوان، وتمثل الأئمة، الذين أشار إليهم الله بأنهم "أولو الأمر"، جزءاً جوهرياً من هذا المفهوم، حيث يُعد الإمام الحسين (عليه السلام) من أبرز هؤلاء الأئمة، الذين لا تُقبل الأعمال إلا بولايتهم تجسد التوجه نحو مبدأ الولاء في التزام الأمة بتعاليم القرآن والرسالة الربانية، ويتضح هذا النهج بجلاء في أعمال صفوان الشعرية .حيث يستخدم النصوص القرآنية لإبراز فضائل النبي الكريم (ﷺ)، ويتجلى ذلك في أحد أبياته التي خصصها لمدحه، وتعبيره عن الإعجاب والتمجيد له قائلا:

تحية الله وطيب السلام على رسول الله خير الأنام

على الذي فتح باب الهدى وقال للناس ادخلوا بالسلام (الديوان ، 2018 :126)

يستحضر الشاعر قول الله تعالى : (ادخلوها بسلام آمنين) (الحجر: ٤٦) لينتقل معنى خطاب الله السماوي إلى التمجيد والولاء للرسول الكريم، يتم تحويل الدلالة الإلهية إلى الثناء والمدح للرسول في هذا السياق.

وردت قصة النبي موسى عليه السلام بشكل متكرر في الشعر، حيث استُلهمت من الصور الحية الموجودة في النص القرآني الكريم .جاءت تلك الأحداث بلغة شعرية تهدف إلى تصويرها وإيصالها بأسلوب فني مميز قد يكون السبب وراء هذا الاهتمام هو التكرار اللافت لقصة النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم، حيث ورد ذكرها في نحو ثلاثين موضعًا مختلفًا، وقد نجح صفوان في استحضار معاني هذه القصة في عناصر شعره، حيث اعتمد عليها كمصدر غني بالسرد والتأمل حتى تشبع من روحها ومعانيها من خلال ذلك، استلهم العديد من التعابير التي تعكس جوانب من حياة سيدنا موسى، لا سيما مواجهاته مع السحرة وأحداثها الملهمة قال في ذلك:

وصاحب لي لا كانت طبائعهُ كأنها سحب بالسوط منهمرة

إذا أحـــــــس بمأكول تقدمة يكان يسبق فيه حلقة بصرة

كان فآة عصا موسى إذا انقلبت وما تقدمة إفك من السحرة (الديوان، ٢٠١٨، ١٢٨)

وطنّ الشاعر في هذه الأبيات مشهدا قصصيا متمثلاً بإحدى معجزات النبي موسى (عليه السلام)، وهي (عصا موسى)، التي من خلال توظيفها يعكس توجهه على الاعتقاد والأخذ بها، كما يعبر من خلال ذلك عن تأييده لهم والذين بدورهم يؤيدون ويتولون آل البيت عليهم السلام.

حظي شعراء وكتّاب الأندلس باهتمام كبير بتجسيد مفهوم الصلاة في نصوصهم الأدبية، حيث استخدموا ألفاظها بشكل واسع لما تمثله من أهمية كونها أحد أركان الإسلام وعبادة أساسية .فهي فريضة عظيمة أمر الله سبحانه وتعالى بإقامتها .من هذا المنطلق، نجد أن صفوان بن إدريس قد وظف كلمة "الصلاة "كعنصر بارز في إبداعاته الأدبية، مضيفًا لها أبعادًا تعكس قيم الولاء والتفاني والالتزام بالعبادة، وقد أدرجها في قصائده ونصوصه، ومن خلال رسائله وتعامله مع أوقات الصلاة ظهر حرصه على تعزيز هذه القيم في حياته اليومية إذ عبر بالصلاة التي بمعنى الدعاء في أبياته لرثاء الإمام الحسين (ع) إذ يقول في ذلك:

ومهما سمعتم في الحسين مراثياً تعبر عن محض الأسي وتترجم

فمدوا أكف المســـــعدين بدعوة وصلوا علي جد الحسين وسلموا(الديوان، ٢٠١٨، ١٥٩)

فإن الصلاة هذا متمثلة بالصلاة على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم))، في قوله تعالى: (إن الله وملائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، (الأحزاب: ٥٦)، فإن الصلاة المذكورة في هذه الأبيات في رثاء الإمام تعني الصلاة على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)) هي عبادة وتعبير عن المحبة والاحترام له كأعظم الرسل في الإسلام، فهي تعكس التقدير والتبجيل له وتعبيرا عن الولاء والمحبة له كقائد إسلامي.

تتميز مراثي صفوان في الإمام الحسين بوحدة الموضوع وتركز على استعراض مناقب الإمام ونسبه الشريف ومكانته الرفيعة في الإسلام تهدف هذه المراثي أيضًا إلى تفنيد ادعاءات خصومه والرد على الشبهات المثارة حول شخصه ومواقفه من خلال إبراز الحقائق التاريخية والدينية، تسعى إلى تسليط الضوء على الموقف الحقيقي للإمام الحسين وحجم الظلم الذي تعرض له تتكامل هذه العناصر في قصيدة الرثاء لتعمل معًا نحو تحقيق الغرض الأساسي منها، حيث يعبّر المرسي بفخر عن إمامة الحسين (عليه السلام)، مبرزًا مكانته العظيمة.يقول في ذلك :

سَلامِي وَإِلمَامِي وَصَوبُ بُكَائِـــــي عَلَى مَعهـــدٍ للسّـــادَةِ النُّـــجَبَاءِ

تَوَى أَهلُه مِن بَعدِ طُولِ ثَـواء أُنادِيهِ لَو أَصغَى لِـطُولِ نِداء
أَلاعِم صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي أُحَيِّيهِ وَالدَّمعُ المَصونُ المُحَبَّبُ
كَأنمُل أَهليهِ يَصُوبُ وَيَسـكُبُ يُفَضِّضُ طَوراً وَجنـتِي وَيُذَهِّبُ
أَقُولُ لَهُ عِم وَهوَ أَجرَدُ سَبسَـبُ وَهَل يَعِمَن مَن كَانَ فِي العُصُرالخَالِي
رَضِيتُ لِهَذا القَلبِ باللّوعةِ الّتـي يَقـومُ بِها سوقُ اللآلي بمُقلَتي
وَعَهدِي بِهِ والدَّهرُ جدُّ مُقَيِّـتي صَـبورٌ عَلَى الأَرزَاءِ جَمُّ التَّثَبُّتِ
قليلُ الهُمومِ مَا يَبِيتُ بِأَوجَـالِ أَلا هَل تُنَـادِي دَارُهُم وَتُحدِّثُ
فأَنفُثُ والمَصدورُ مِثلِيَ يَنفُـثُ وَهَل يسـمَعنَ قَولِي تُرَابٌ وَكَتكَثُ
وَلَو أَنَّنِي أبقى عَلَيهِ وَأَمكـثُ ثَلاثِينَ شَهراً فِي ثَلاثَةِ أَحوَال (الديوان، ٢٠١٨ : ٨٠- ٨٥)

يتناول الشاعر في مراثيه الإمام الحسين بشجى عميق، معبرا عن الحزن والأسى الذي يعتصر القلوب على فاجعة كربلاء ومصاب آل البيت .تجسد المراثي مشاعر الفقد والجزع من خلال استخدام عبارات مؤثرة تصطبغ بالوجع العميق، للتعبير عن الألم المتجذر بسبب فقدان أولئك البررة المظلومين .تتبدى في كلمات الشاعر عاطفة جياشة متأثرة بمأساة كربلاء وما حلّ بآل البيت من ظلم واضطهاد، مما يعزز الأثر المؤلم لمرثياته ويرسخ التعلق الروحي العميق بأهل البيت عليهم السلام.

في هذه النصوص، يستدعي الشاعر آل البيت وأرواح الشهداء بشكل يلقي الضوء على المكانة السامية التي يحملها لهم في قلبه. المخاطبة المباشرة تبرز تعبيره عن الحب والولاء لهم، في الوقت الذي يسعى فيه لمواساتهم في مصابهم الجلل يمتزج في كلماته الأسى والأسف لما تعرضوا له من جور واستبداد، جاعلاً من هذه المخاطبة وسيلة قوية للتعبير عن تلاحم المشاعر وتعاطفه العميق مع آل البيت في محنتهم التاريخية، ويعود في المقطع التالي مباشرة للحديث عن حزنه مرة أخرى، ويقول في ذلك :

لِرُزءِ رَسُـــولِ اللَّهِ بِالطّف انشج ودَمعِيَ فِي مَرضَاتِهِ يَتَدَحـــرَج
كَأَنَّ الأَسَى دُرَّ الـدُّموع يُـبَهرِج وَغَيرِي مَن يَفنَى كَمَا هَامَ حُنـدُجُ
بِوَادِي الخُزَامَى أَو عَلَى رَسِّ أوعَال مُصَابِي بِآلِ المُصطَفَى لَـيسَ يَبـرَحُ
فَيَا لَكَ تَجراً فِـي مَآلِيَ يَـربَحُ سِوَى مَدمَعِي طَوع الصّبـابَـة ينفَحُ
أَلَم تَرَ أَنّي والدُّجُنّة تصـب كَبِرتُ وَأَن لا يَـحسِنَ اللّهو أَمثَالِي
أَلا هَل أَتَى المُختَـارَ وَالحَقُّ أَسمَحُ مقام حُسَينٍ وَهوَ بالدّم يلطَـحُ
يُنَادِي بأَهلٍ روعَهُـم لَيسَ يُفـرخُ وَأَشقَى بَنِي حَربٍ يُنادِي وَيَصـرُخُ
بآنِسَةٍ كَأَنَّها خَـــطٌّ تِمثَالِ عَلَى حِينِ شَمل المُصـطَفَى يَتَبَدَّدُ
وَأَيدِي بَنِيهِ بالجَوَامِعِ تُعـقَدُ وأَبشَارُهُم بالمُرهَفاتِ تُخَـدَّدُ
وَفِي كُلِّ صَـدرٍ لَوعَةٌ تَتَوَقَّدُ كَمِصبَاح زَيتٍ فِي قَنَادِيل ذُبال(الديوان ، ٢٠١٨: ١٤٠ - ١٤٢)

يعود الشاعر مجددًا إلى التعبير عن حزنه وألمه العميق تجاه فاجعة آل البيت (عليهم السلام) وما تعرضوا له من مآسٍ يصور بأسلوب مؤثر مشاهد الحزن والبكاء التي تسود الأجواء وتغمره مع الآخرين، معبرًا عن شعوره الجارف بالأسى والانكسار أمام حجم هذه الفاجعة العظمى يعتمد في مراثيه على كلمات مفعمة بالعاطفة والصدق تعكس حزنه العميق وتفاعله الصادق مع الألم، مما يضفي قوة وعمقًا على النص ويُظهر مدى اندماجه التام مع الموضوع والمشاعر التي يرغب في يركز الشعر الذي قدمه صفوان بن إدريس، عبر المدح والرثاء وأحيانًا الهجاء، حول مفهوم التولي لأهل البيت (عليهم السلام)، حيث يتضح بالأدلة الشعرية أن هذا الارتباط بأهل البيت ليس مجرد واجب ديني، بل هو أسلوب حياة وتوجه روحي

يتغلغل في وجدان الفرد. يعبر الشاعر عن التولي كقيمة ذات أبعاد واسعة تشمل الحب والاحترام العميق والالتزام بمبادئهم، مما يعكس ارتباطًا مباشرًا برسالة الإسلام ومعانيها الجوهرية .

من خلال التعلق بأهل البيت (عليهم السلام)، يقدم الشاعر تجربة روحية مميزة تعزز فهم الإنسان للدين وتوجهاته الأخلاقية والاجتماعية لهذا، فإن دعوة صفوان إلى الولاء لا تعد مجرد دعوة للمحبة، بل هي حافز لاستكشاف زوايا جديدة من الإيمان والتعمق في الإرث الديني .في نهاية المطاف، يظهر التولي لأهل البيت كنهج حياة متكامل يقود إلى تحقيق النضج الروحي والوعي الاجتماعي، مما يجعل منه أكثر من مسألة عقائدية بحتة.

الولاء للإمام الحسين (ع) في شعر صفوان

أظهر صفوان بن إدريس إخلاصًا عميقًا وولاءً صادقًا لأهل البيت، وخاصة للإمام علي بن أبي طالب وأحفاده، وقد انعكس حبه وإعجابه بهم بوضوح في العديد من قصائده الشعرية، حيث تناول فيها الفضائل السامية والمناقب العالية لأهل البيت، معبرًا عن مكانتهم الجليلة في الإسلام وعن مشاعره الصادقة تجاههم، وتضمنت قصائده ألوانًا من المديح والثناء، إضافة إلى مراثٍ مؤثرة للإمام علي، والإمامين الحسن والحسين، وغيرهم من الأئمة الأطهار.

الحسينيات التي أقامها صفوان تضمنت مراثي الحسين وأهل البيت (ع)، وكانت مشاهد الحزن العميق والولاء للإمام الحسين (ع) حاضرة بوضوح خلال هذه المجالس .كما ركزت على نقل صورة الكرب الشديد الذي كان النبي محمد سيشعر به لو شهد المأساة التي أصابت سبطه. وأبدع الشاعر في استخدام التشبيهات في أبياته الشعرية، مقدماً صورة مؤثرة للحسين وهو يعاني من العطش، ومستعيناً برمز السيف المرهف للدلالة على السعي نحو نصرته .كذلك، عبّر بقوة عن الألم الذي كان سيعتصر قلب النبي محمد جراء تلك الأحداث المؤلمة التي ألمّت بحفيده الكريم.

انْدُبِ الطّفَّ وَسِبطَ المُصطَفَى ... بِمـــــرَاثٍ هِيَ أَسرَى مِن قفَا
لا تَرُم ضَوءَ هُدىً مِن بَـعدِهِ ... فَسِرَاجُ الهَدي بالطّفّ انطَفَـــى
أُمـــــةَ الطّغيانِ مَا أَجـرأَكُم ... ما أَقَلَّ البِرّ فِيكـــــــمُ وَالوَفَـــا
لَـــــــــو رَآهُ جـدّهُ بَينَكُم ... ظَامِئاً يُسقَى الحُسامَ المُــرهَفَا
لانطَوَى فَوقَ يَدَيهِ أَلَمـــــاً ... وَتَـــــــــوَلّى قَائِلاً وَا أَسَفَا
شَـــــاكِيا يَستَصرِخُ اللّهَ وَقَد ... قَالَ يَعنـي مُقلَتَيهِ انذَرِفـــــا(الديوان ،2018: ١١٦)

في مراثي الشاعر التي تُلقى في الحسينيات، يبدأ بالإعراب عن التحية والسلام للإمام الحسين، واصفًا إياه بأنه منبع الأريج والعطر كنسمة هواء لطيفة، ثم يتجه بإرساله السلام إلى مقام الإمام الحسين، مشيرًا إلى قبره الشريف، لتظهر قيمة المكانة الروحية والقدسية له بعد ذلك، يربط الشاعر الإمام الحسين بأمه السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، مبرزًا عظمة هذه القرابة المباركة، وفي بعض المواضع، يتطرق الشاعر إلى الحديث عن استشهاد ذرية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، موضحًا كيف أدى رحيلهم إلى غياب نجومهم الساطعة وبدورهم المضيئة، مما يعكس حجم الحزن العميق والمأساة الكبرى التي رافقت فقدان الإمام الحسين (عليه السلام). كما يعبر عن مشاعر البكاء والأسى التي تتجدد كلما طُرحت ذكرى يوم كربلاء، ذلك اليوم الذي تخلى فيه أهل الدنيا الطامعون عن الإمام الحسين ووقفوا مكتوفي الأيدي أمام مصيبته .ويُظهر الشاعر الأثر الدائم لكربلاء في النفوس، مستذكرًا الأحزان التي تطارد القلوب في كل مناسبة يُجدد فيها إحياء ذكرى تلك الفاجعة بهذا التصوير العاطفي العميق، يبرز الشاعر وجدان الأمة المكلومة التي ما زالت تستدعي آلامها وتعيش حزنها على الإمام الحسين ومصابه العظيم.يقول في ذلك:

سَلاَمٌ كأَزهار الرُّبَى يُتَنَسّمُ ... عَلَى مَنزِلٍ منهُ الهُدَى يُتَعَلّمُ

عَلى مَصرَعٍ لِلفاطِمِيّينَ غُيِّبَت لأوجُهِهِم فِيهِ بُدُورٌ وَأَنجُمُ
عَلَى مَشهَدٍ لَو كُنت حَاضِرَ أَهلِهِ عَايَنت أعضَاءَ النَّبِيِّ تُقَسَّمُ
عَلَى كَربَلا لا أَخلَفَ الغَيثُ كَربَلا وَإلا فَإنَّ الدَّمعَ أندَى وَأكرَمُ(الديوان ،2018 : ١٢٣)

يتجلى الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) بوقعه المؤثر في وجدان صفوان ، حيث يبرز بوضوح عمق الحزن والأسى الذي يعكس إحساسًا عميقًا بجلال المصاب وعظمته، وما يتركه من أثر في النفس المؤمنة، استخدم الشاعر الولاء للإمام الحسين (عليه السلام) كوسيلة معبرة عن حزنه وألمه العميقين على استشهاده، حيث تتشابك مشاعر الحزن والأسف ومرارة الفقد في صور شعرية تغلف دلالاتها وأفكارها، فتحرك وجدان القارئ وتثير فيه مشاعر الشجن والألم من خلال هذا الأسلوب الحزين والمفعم بالمشاعر المتدفقة، يأخذ الشاعر القارئ إلى عالم مليء بالعواطف والمعاني العميقة، ليعيش معه لحظة التأمل في المأساة الجليلة التي تمثلت في استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، هذا الرمز الغالي في وجدان المؤمنين تتبدى مشاعر التولي والإخلاص جلية في قصائد ابن ادريس، حيث يعكس من خلالها تطلعه وحنينه للوقوف بجانب الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته الطاهرين، متمنيًا لو كان حاضرًا يوم عاشوراء ليبذل نفسه في سبيل نصرتهم والدفاع عنهم بكل ما يملك .يشدد الشاعر على استعداده للسعي بكل ما أوتي من طاقة لنصرة قضيته وحمايته، مؤكداً على عمق ارتباطه العاطفي والروحي بتلك الواقعة التاريخية، إذ يقول في ذلك:.

لو أني حضرتُ بـ (كربلاءٍ) إذاً حمـــــدَ الحسينُ بها منابي
إذاً لـــــسقيتُ عنهُ السّيفَ رِيّاً وليسَ سوى نجيعي مِن شرابِ
أمـولايَ الـحـسين نداءُ عبدٍ عظيمُ الحُـــزنِ فيكَ والانتحابِ(الكاشي، ١٩٩٠ :٩٣)

تجسد هذه الأبيات معاني الشجاعة، التضحية، والإخلاص العميق لأهل البيت، حيث يعبر الشاعر عن أمله في أن يكون جزءًا من هذا الموقف التاريخي العظيم، متمنياً أن يتحلى بروح الفداء والتضحية التي أظهرها الإمام الحسين وأفراد أسرته ينبع هذا الشعور من حب عميق وإجلال كبير للإمام الحسين وآل بيته، ويعبر عن تفاني الشاعر في خدمتهم والوقوف إلى جانبهم حتى في أحلك الظروف، ثم يتطرق الشاعر إلى تصوير مأساة كربلاء بأسلوب مؤثر، فتتعالى مظاهر الحزن في المدينة المنورة، وتهتز المشاعر في الحرم المكي حيث صدى البكاء عند الحطيم وزمزم والكعبة ومشاعر الصفا والمروة يقدم الشاعر هذه الأماكن المقدسة وكأنها تشارك في الحداد، في محاولة منه لتجسيد عظمة مكانة الإمام الحسين والتنديد بالجريمة الكبرى التي ارتكبت بحقه دون مبرر، إذ قال في ذلك:

مضارع ضجت يثرب لِمُصَابِها وناح عَلَيْهِنَّ الحَطِيمُ وَزَمزم
وَمَكَةُ وَالأَستَارُ والرُّكنُ والصَّفا وموقف جمع الحطيم وزمزم (الديوان ، ٢٠١٨ :١٢٣)

يشدّد صفوان على المكانة الرفيعة والمقام السامي للإمام الحسين (عليه السلام)، ويرى أن أي شهيد آخر لا يضاهي مكانته .فهو يعتبر الإمام الحسين مصدر فخر ومجد للإسلام، مستنداً إلى نسبه بجدّه النبي محمد (ﷺ)، خاتم الأنبياء والمرسلين .كما يؤكد على دور والده، الإمام علي (عليه السلام)، الذي اختاره الرسول ليكون خليفة وقائداً للمسلمين ويقول في ذلك:

أَيُّ سِبطٍ لَو قُتِلتُم عِندَهُ وُقُتِلتُم كُلُّكم مَا انتَصَفَا
جَدُّه لِلأَنبِيَاءِ خَـــــاتِمٌ وَأَبُوهُ خَـــــاتِمٌ لِلخُلَفَا
لَيسَ يَحتَاجُ إِلَى تَسمِيَةٍ إن سَكتتا عَن حُسَينٍ عُرِفا (الديوان ، ٢٠١٨ : ٨٥)

يسلط الشاعر الضوء على محبته الكبيرة وولائه الصادق لأهل البيت عبر تصويره لفاطمة الزهراء (عليها السلام) في مشهد مليء بالحزن والأسى، حيث تظهر وهي تبكي وتشكو للنبي ﷺ عن المصير المؤلم الذي

واجهه السبطان الحسن والحسين (عليهما السلام). تعبّر الزهراء عن ألمها وتطلب من النبي أن يثأر ممن ارتكبوا جريمتهم بحق سبطيها، بعدما عانوا من الظلم والجور الذي طالهم .وما يزيد من بشاعة الأحداث هو أن قتلة السبطين لم يظهروا أي ندم أو تراجع عن فعلتهم، بل رأوا في أفعالهم ما اعتبروه إيجابياً .لذلك، تتوجه الزهراء يوم القيامة إلى أبيها طالبة منه أن يستنجد بالله لينزل العقاب الشديد عليهم، ساعية لأن يهدأ قلبها وتتوقف دموعها عندما ترى النبي ﷺ ينتقم ممن ظلم وقتل الحسين عليه السلام. إذ قال في ذلك:

لَوَ إِنَّ رَسُولَ الله يحيى بعيدَهُم رأى ابنُ زِيَادٍ أُمَّهُ كَيفَ تَعلَّمُ
وَأَقْبَلَتِ الزهراء قُدسَ تُربها تُنَادِي أَبَاهَا وَالمَدَامِعَ تَسْجُمُ
تقول أَبِي هُم غَادَرُوا ابْنَيْ نُهبَةً لِمَا صَاغَهُ فِينٌ وَمَا مَنْ أَرْقَمُ
سقوا حسناً بالــسم كأساً رَوِيَّةً وَلَم يَقْرَعُوا سِنَا وَلَم يَتَنَدَّمُوا
وَهُم قَطَعُوا رَأْسَ الحُسَينِ بِكَربلا كَأَنَّهُمْ قَد أَحْسَنُوا حِينَ أُجْرِموا (الديوان ،77:2018)

فالولاء في قصائد ابن ادريس متعددة إذ أنينه تجاه الإمام الحسين(ع) كثير. إذ يقول في ذلك :

أقول لحزن في الحسين تأكدا تملك فؤادي متهما فيه منجدا
ولو غير هذا الحزن راح وأغتدى لناديته قبل الوصول مرددا (الديوان ، ٢٠١٨ : ١٣٠)

تجسد هذه الأبيات بجلاء مشاعر الأسف والحزن العميقة التي يعبّر بها صفوان لولاء عن ولائه للإمام الحسين (ع)، متجليًا في قلب نابض بالوفاء وأحشاء متقدة بالألم، ونفس مفعمة بالغضب والحزن لما أصاب الإمام (ع) في كربلاء يظهر الولاء الحقيقي بوضوح في قصائده، حيث يتغلغل في تفاصيل الأبيات ليشكل محورها الأساسي، مشجعًا الشاعر نفسه والآخرين على التعبير عن ألمهم وحزنهم بالبكاء، باعتباره رمزًا للوفاء والمواساة لما حل بالإمام الحسين (ع).

وقد عرف الشاعر بمراثيه على مبدأ الولاء للإمام الحسين (عليه السلام) وأشار إلى ذلك عبد الملك المراكشي أيضاً فقال: مُتفرد صفوان في تأبين الحسين (عليه السلام) وبكاء على أهل البيت (عليهم السلام) (ينظر : الانصاري،2012:١٤٠)، من خلال الولاء لأهل البيت (ع)، يعبر صفوان عن حزنه العميق وألمه الكبير بفاجعة مقتل الإمام الحسين (ع) .فقد تأثرت روحه بشدة وامتلأ قلبه بالأحزان الجارفة، وانكسرت الأوتار كلها في صدره المثقل بالآلام .وفي هذا السياق يقول ، فيقول في ذلك: من حسينيته البائية:

إِذَا جَادَت دُمُوعِــي فِي انتِحَاب فَمَا دَعوَى الغَمَامِ فِي الإِنسِكَابِ
وحُقَّ لِيَ البكاءُ فَإِنّ حُـــــزني يُثيرُ الدَّمعَ في جفنِ السرابِ
وَأَينَ لِيَ العَزَاءُ وَقَـــــد تَرَدّى فراشُ الصَّبرِ في نارِ المُصَابِ
ويا عينيَّ إن لـــم تستهلا ثَــكِلــتُكُمَا إِذاً بينَ السِّحَابِ
على سِبطِ الرَّسُولِ عَلَى حُسَينٍ علـــى نَجلِ الشَّهِيدِ أَبي تُرَابِ
يَزِيدُ فَكم يَـــزِيدُ عَلَيكَ حِقدِي رُزِئتَ الفَوز مِن حُسنِ المَآبِ(الديوان ، ٢٠١٨ : ٣١ -٣٢)

في هذه الأبيات، يعبر الشاعر عن تأثره العميق وألمه البالغ، حيث يغمر قلبه حزن شديد وحسرة ملتهبة تظهر حالته مشبعة بالولاء العميق والولاء الكامل لأهل البيت (ع)، إذ يسيطر الحزن عليه بلا انقطاع مشاعره تتأرجح بين شوق وأنين، وندب وتحسر، وتتخللها نوبات من التردد والاضطراب والمعاناة هذا الحزن أضعف عزيمته وأثقل قلبه بالألم، فيما جروحه باتت تنزف دموعًا صامتة نظراته تحمل التردد، وروحه تتهاوى تحت وطأة الجزع، إذ يحاصره الأسى بحزنه العميق وألمه الشديد على سبط الرسول الكريم، ابن الشهيد أبي تراب، ضمن إطار حب صادق وولاء عظيم لأهل البيت الطاهرين (عليهم السلام). ويستمر صفوان بالولاء قائلاً:

فيا أيها المغرور والله غاضـــب لبنت رسول الله أبن تيمم
إلا طرب يقلى ألا حزن يصطفي الا أدمع تجرى إلا قلب يضرم
ققوا ســـاعدونا بالدمـــوع فإنها لتصغر في حق الحسين ويعظم
ومهما سمعتم في الحسين مراثيا تعبر عن محض الأسى وتترجم
فمـدوا أكفأ مســـعدين بـدعوة وصلوا على جد الحسين وسلموا(الديوان ،٢٠١٨: ٣٧)

يظهر الولاء لأهل البيت (ع) بتعبير صفوان عن حزنه وبكاءه الحار على مصرع الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو أحد أفراد أهل البيت (عليهم السلام)، هذا التعبير المؤثر يعكس والولاء العميق لأهل البيت بالإضافة إلى ذلك، فهو ينهي قصيدته بالدعاء والصلاة على جد الحسين (عليه السلام). هذه العبارات تعبر عن التولي والولاء العميق لأهل البيت، حيث يُظهر صفوان انتماؤه القوي وتعلقه العميق بهم وبتراثهم العظيم.

يتناول صفوان موقف الرسول ﷺ وآل البيت (عليهم السلام) تجاه قاتل ولديهما، ليبرز صورة فريدة من الصبر والتسامح عندما نتأمل موقف النبي الكريم وصحابته مع تلك المحن، نجد أنهم واجهوا الأحداث بقوة الإيمان والسلوك الأخلاقي السامي، ما يعكس القدرة على تحمل الشدائد بصدر رحب وفي هذا السياق، يتخيل الشاعر أن الرسول ﷺ قد يذرف الدموع، ويحتضن الإمام الحسين عليه السلام بحنان، داعياً الله سبحانه وتعالى أن يعدل بحق من ارتكب هذه الجريمة وينزل عليه عقاباً مستحقاً، مما يرسم تجسيداً لمزيج من الإنسانية والإيمان في مواجهة الفاجعة.، قائلا:

لَو رآهُ جدّهُ بيـــــــنكُمُ ظامئاً يُسقى الحُسامَ المُرهفَا
لانطوى فوق يـديهِ ألـــماً وتـولّـى قـــــائلاً وا أسفـا
شاكياً يستصـــــرخُ اللهَ وقَد قـال يـعـنـي مُـقـــلـتيهِ انذرفا
أَتُرى أَرضيتُمُ خـــــالقكُم يومَ أذرفتُم دموعَ الـمُصطفى
أَيُّ سبطٍ لو قُتلتُم عندهُ وقُتلـــــتُم كلّكم مَا انتصفا
ليسَ يحتـاجُ إلى تسميـةٍ إن سكتـــــنا عن حُسينٍ عُرِفا
يـا بـنـي حربٍ جفوتُم جَدّه أرســـــولُ اللهِ يُجزى بِالجفا
يا بني حربٍ ولا عُـذرَ لكُم أأطيـــــلُ القَولَ فيكُم أَم كفى (الديوان ،٢٠١٨، 101)

من الجدير بالذكر أن صناعة الأسلحة، وبالأخص السيوف، حظيت باهتمام كبير لدى الفرد الأندلسي، ولقد لعب إعجاب الشعراء بالسيوف دورًا بارزًا في استغلال معانيها المتنوعة لصياغة صورهم الأدبية، مما جعلها جزءًا أصيلًا من ثقافتهم الاجتماعية .استمر الأندلسيون في الافتخار بالسيوف التي تحمل إرثًا تاريخيًا عريقًا كسيف ذي الفقار سيف الامام علي [٤]. إذ يقول في ذلك:

وليس دم الحسين أرقت لكن مزجت دم الرسول مع التراب
ولـــو لاقـــك يؤمـــئذ أبوه عداك عـــن الغنيـــمة والإياب
وسلط ذا الفقار عليك حتـــى توارى شمس ظلك بالحجاب (الديوان ، ٢٠١٨، ١٢٩)

فاستعان الشاعر بالسيف، فجعله أداة للتخويف ووسيلة للردع مستعملا أسلوب الشرط فلو كان الامام علي (عليه السلام موجودا في يوم الطف؛ لأخذ الثأر من قتلة ولده (الحسين) عليه السلام وكان سيفه هو الحكم الفصل آنذاك.

البراءة من أعداء آل البيت ع في شعر صفوان

صفوان بن إدريس يعد من الشعراء البارزين الذين اشتهروا بولائهم الصادق وحبهم العميق لأهل البيت، وخصوصاً لعترة النبي محمد ﷺ .يظهر في أشعاره بوضوح مفهوم "التبري"، الذي يعني الابتعاد والتبرؤ من أعداء ومعاندي أهل البيت عليهم السلام .في قصائده، يعبر صفوان عن استنكاره وغضبه تجاه الجماعات والأشخاص الذين يناصبون أهل البيت العداء، ويؤكد بثبات موقفه الموالي والداعم لمحبة أهل

البيت والانتماء لهم تتسم أشعاره باستخدام ثري ومتقن للألفاظ والصور الشعرية، مما يبرز مشاعر الحب والوفاء التي يكنها لأهل البيت، ويعمل على ترسيخ مفهوم التماسك والوحدة بين محبيهم في قصائده، تظهر قوة العاطفة وعظمة الولاء، بما يعكس انتماءً حقيقياً وصادقاً يصبو إلى مواجهة الأعداء وتعزيز مكانة أهل البيت في القلوب بهذا الشكل، يعكس مفهوم التبري في شعر المرسي روح الوفاء والإخلاص، مجسّداً أهمية أهل البيت ومكانتهم الرفيعة في وجدان الشاعر ووجدان المحبين والأتباع للعترة الطاهرة.

ومن خلال هذا فقط استخدم الأدباء الأندلسيون مفهوم القضاء والقدر بشكل واسع، ومنهم صفوان الذي أكد أهمية التسليم والولاء لقضاء الله إن قدم اعتذاره عن غيابه عنهم، مستسلما الإرادة الله تعالى في وقوع هذا الانفصال ومعبرا عن ولاته العميق لأهل البيت وخاصة في رثائه للإمام الحسين (ع). يقول في ذلك:

وجب لهم جبريل أتمك غارب من الغي لا يغلى ولا يتسنم

ولكنها أقدار ربي بها قضى فلا يتخطى النقض ما هو يبرم (يعقوب ،1997، ص211)

يستحضر الشاعر في نصه مفهوم "القدر" بمعنى إرادة الله سبحانه وتعالى، مظهراً حكمه وقضائه في الأحداث .إلى جانب ذلك، يبرز الشعور باللوعة والحسرة والألم العميق الذي يعتصر صفوان نتيجة لما ارتكبه أولئك الأعداء بحق الإمام الحسين (عليه السلام) .وفي تعبير عن ولائه الصادق والعميق لأهل البيت، يعلن صفوان براءته التامة من الأعداء ويستنكر جرائمهم، مؤكدًا أن جزاء أفعالهم سيكون عذابًا وشفاءً للقلوب المظلمة عبر إنزال الانتقام الإلهي عليهم .رغم كل ما حدث، يظهر الشاعر تسليمًا تامًا لإرادة الله وحكمه دون أي احتمال للمعارضة .

كما يدين الشاعر بقوة رؤوس الفتنة، وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان، الذي يصفه بـ"الجل الدعي"، متوعدًا إياه بعواقب وخيمة وخسائر فادحة في الآخرة .يشير الشاعر إلى أن ما فعله عبيد الله لم يكن مجرد سفك دم الإمام الحسين، بل هو في الحقيقة سفك لدم رسول الله (ﷺ) إذ يقول في ذلك:

ويا نجل الدعي دعي حرب لقد لففت نســـــلاً من كذاب

نصيبك من جنان الخلد فاهنا نصيب أبيك من صدق انتساب

قدمت على الحساب بيوم شر صنعـــــت به صنيعا للذئاب

وليس دم الحسين أرقت لكن مزجت دم الرسول مع التراب (الديوان، ٢٠١٨ :٩١)

بخاطب صفوان قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) والمتهمين في نسبهم، موجها لهم اتهاما بأنهم خسروا فرصتهم في دخول جنة الخلد بسبب جريمتهم، ويلقى باللوم عليهم على سفك تم الإمام الحسين (عليه السلام) ويذكرهم بأنهم سيحاسبون على أفعالهم الشنيعة في ذلك اليوم، ويقول أن جزاءهم سيكون في نار الجحيم، كعقاب لما اقترفوه من أعمال شنيعة.

استلهم الشاعر شخصية ذات طابع سلبي تعود إلى الحقبة الأموية، متمثلة في يزيد بن معاوية، الذي يُعتبر أحد أبرز المسؤولين عن مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، حفيد النبي محمد (ﷺ) استخدم صفوان هذه الشخصية في شعره واستدعاها مرارًا، بالنظر إلى ارتباطها بأفعال مشينة وجرائم ارتكبت بحق أهل البيت (عليهم السلام) يستعرض الشاعر في قصائده أحداث تلك الحقبة التي كشفت عن بشاعة أفعال يزيد، مركزًا على خسارته المحتومة في يوم القيامة .كما يؤكد أنه لن يكون ليزيد نصيب في شفاعة النبي، بعد أن تجرأ على قتل حفيده وانتهاك حرمة أهل بيته (عليهم الصلاة والسلام). إذ قال في ذلك:

يزيد فكم يزيد عليت حقدي رزئت الفوز من حـــسن العاب

قتلتم سبطهُ قتل الأعــادي لقد وفقتم لسوى الصــــــــواب

وسقتم أهلة سوق الســـبايا أهذا مـــــا قرأتم في الكـــــتاب

لقد نشب الحسين من البلايا من الطلقاء في ظفر وناب (الديوان، ٢٠١٨: 90)

يشير صفوان بن إدريس إلى أن بني أمية وأتباعهم كانوا بمثابة عصابة من الأشرار، خالية من أي مشاعر إنسانية طيبة مثل المودة أو الرحمة .يتساءل كيف تمكنوا من هذا السلوك رغم أنهم كانوا عبيدًا تمردوا

على أسيادهم .كما يوجه انتقاده لدينهم وإيمانهم، ويتعجب من استمرار سلطتهم رغم قبولهم لما يغضب الله وارتكابهم لجريمة قتل سبط النبي الكريم، معتبراً أفعالهم نموذجاً للفساد والعدوان والانحراف في الأرض .

ومن جانب آخر، يخاطب الشاعر عمر بن سعد بن أبي وقاص، واصفاً إياه بلقب "الأسام الأبرص"، بهدف التأكيد على أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يخض معركته طلباً للسلطة أو مطامع الدنيا الزائلة، بل كان جهاده خالصاً لوجه الله، دفاعاً عن الحق ونصرة للعدل، إذ يقول في ذلك:

فقل لابن سعد والعصا عبد من عصى حلفت إليه ونك أسأم أبرصـــــــا

ولو أنه شـــــاء الخلاص تخلــصا وجد لكم فوق الحصى عدد الحصى(الديوان ، ٢٠١٨ : ٣٣)

ثم يوجه الخطاب إلى آل حرب عامة، حيث ينتقدهم بسبب تصرفاتهم الغادرة وعدم الوفاء

وقلة إخلاصهم تجاه رسول الله ﷺ، ويحذرهم من عواقب أفعالهم، متوعدهم بالهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، إذ يقول في ذلك:

يا بني حرب جفوتم جدهُ أرسول الله يجزى بالجفاء ؟
يا بني حرب ولا عذر لكم أأطيل القول فيكم أم كفي ؟
هم القوم أما سعيهم فمخيب مضاع وأما دارهم فجهنم(الديوان، 2018:55)

يبدي الشاعر استنكاره واستياءه من آل حرب بصفة عامة، منتقدًا تصرفاتهم التي يصفها بالغدر وقلة الوفاء وضعف الإخلاص تجاه النبي ﷺ يتجلى في الأبيات موقف الشاعر السلبي من أفعالهم، إذ يعتبرها تجاوزًا للمبادئ الإسلامية والقيم التي يدعو إليها الإسلام وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم يعكس ذلك تبني الشاعر منظورًا أخلاقيًا واضحًا ومعايير صارمة لتقييم التصرفات بما يتوافق مع مفاهيم الصواب والخطأ.

يظهر المرثي وقلبه ممتلئ بالغضب المتأجج والحماسة المشتعلة، مختلطة بحنين عميق إلى ذكرى الإمام الحسين (ع) تجد في هذا التبرؤ والغضب الممزوج بالحزن العميق تعبيرًا صادقًا عن السخط والهجاء حيث يعبّر قائلاً:

أيوم الطف لا يوركت يوماً جعلت الأسد نهبا للكلاب
جنابك حيث طل بنو علي الا لا در درك من جناب
ألم تحلقهم فتذود عنهم وتحصب من رماهم بالمصاب
ألا يا يوم عاشوراء راجع جوابي لا قدرت على الجواب (الديوان، ٢٠١٨ : ١٠٨)

ويقول في موضع آخر في البراءة من أعداء أهل البيت (ع) .

رضيت عدو الله والله ساخط بما فعلت في (كربلاء) المآقط

ألا بأبي تلك الدماء الغوابط وأنصارها الأعلون عنها شواحط (الديوان ، ٢٠١٨ :١٣٧)

يتناول الشاعر في هذه الأبيات بشكل واضح مفهوم البراءة من أعداء أهل البيت، معبّرًا عن الرفض القاطع لما ارتكبه أعداء الله في واقعة كربلاء، كما يُظهر التجيبي دعمه وتضامنه العميق مع الإمام الحسين وأصحابه (ع)، متخذًا موقفًا صريحًا من قتلتهم ومعبّرًا عن غضبه الشديد تجاههم تعكس هذه البراءة إيمانًا راسخًا بأهل البيت وارتباطًا عميقًا بهم، مؤكدة على أنهم يمثلون الحق والعدل وكانوا مظلومين في تلك الأحداث الجليلة.

يبرز شعر التجيبي بوضوح أهمية التبري من أعداء أهل البيت (عليهم السلام)، مؤكدا على دوره المحوري كركيزة أساسية في العقيدة الشيعية وممارساتها الدينية، والتبري هنا ليس مجرد موقف شخصي؛ بل هو إعلان واضح للارتباط الوثيق بمنهج وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) من خلال أبياته، يظهر الشعر رفضا قاطعا للظلم والطغيان، ويمثل تمسكا راسخا بالحق والعدل، مما يعكس التزاما بالمبادئ الإسلامية السامية وسنة النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله (وأهل بيته الطاهرين (عليهم

السلام) في هذا السياق، يصبح التبري تجسيدا للإيمان العميق ووسيلة للتفاني من أجل الله والتمسك بالحق والهداية الإلهية.

الخاتمة

تجلت مظاهر الولاء لدى الشاعر صفوان الاندلسي في إظهار أحقية الأئمة (عليهم السلام). وبيان مكانتهم في الدين الإسلامي عن طريق إشعار تمس بواطن الذات الموالية التي ترى فيه المثال المتبع في الهداية والطريق أما الرثاء الحسيني عند الشاعر هو عبادة تشيعيه تتعلق بالحداد والنوح على استشهاد الإمام الحسين بن علي وأهل بيته في معركة كربلاء عام ٦٨٠م.

فقد صرح صفوان بن ادريس في بعض ما نظم أن آل بيت النبي أهم أحياء وأصفياؤه وتتجلى في نظره أنهم أهل التقوى والهدى وفي نظر الشيعة أيضا أن للإمام حظوة وافية ومكانة عالية.

إن الولاء لأهل البيت (ع) في شعره هو موجب للتصديق وأن رضى أهل البيت (عليهم السلام) هو محور الكون، فالشاعر ارتفع بالتولي إلى أعلى الدرجات، وهذا ما يعكس. عقيدته الشيعية، وللإمام مكانة خاصة لا يعلى عليها في الفكر الشيعي.

يوظف صفوان الأندلسي تقنية البراءة في شعره كوسيلة للابتعاد عن الأشخاص أو الأفكار التي يراها مناهضة للنبي وأهل بيته عليهم السلام، معتبراً أنها ضالة أو تتنافى مع القيم والمعتقدات التي تشبع بها في ذلك الزمن .يعتمد التبرّي للتأكيد على الحق والعدل والالتزام بالمسار السليم في الحياة .كما يظهر صفوان بن إدريس موقفاً حازماً في إعلان براءته من أعداء أهل البيت ومناهضيهم، مسلطاً الضوء على مظاهر الظلم والطغيان والعدوان الذي تعرضوا له.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- الامين، أحمد ظهر الإسلام، لبنان، دار الكتاب العربي، 2008 م.
- الانصاري، محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تحقيق، احسان عباس، محمد بن شريفة، بيروت، دار الغرب والإسلامي، 2012م.
- ديوان صفوان بن ادريس المرسي، تحقيق، د.أحمد حاجم الربيعي، الأردن: دار غيدان، 2018 م.
- الذهبي، شمس الدين، أبو عبدالله محمد بن أحمد، سير اعلام النبلاء، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.
- الريشهري، محمد، موسوعة الامام الحسين (عليه السلام) في الكتاب والتاريخ، قم: دار الحديث 2010م.
- السماوي، السيخ محمد، الطليعة من شعراء الشيعة، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، لبنان، دار المؤرخ 2001م.
- شريفة، محمد، اديب الاندلس أبو بحر التجيبي، عمر قصير وعطاء غزير، المغرب، مطبعة النجاح، 1999م.
- الكاشي، الشيخ عبد الوهاب مأساة الحسين بين السائل والمجيب، لبنان، دار الزهراء، 1990م.
- الهواري، هالة عمر إبراهيم، شعر صوان بن ادريس، مص، دار الوفاء، 2012م.
- يعقوب، أحمد حسين، كربلاء الثورة والمأساة، لبنان، الطبعة الأولى، الغدير للطباعة، 1997م.